

إسلاميات

توقير الكبار واجب ديني لا تبرع

غزة / أسماء صرصور:

تعد الشيخوخة مرحلة عمرية تتطلب مزيداً من الرعاية والاهتمام، حيث تم الإشارة إليها في آيات القرآن الكريم بقوله تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مَسْمُومًا وَعَلَيْكُمْ تَعَلُّونَ"، فلسطين" تحاور مدير عام دائرة الوصوة والإرشاد في وزارة الأوقاف د. يوسف فرحات لمعرفة حقوق المسنين.

أكثرها حساسية

وقال فرحات: "أصعب مراحل الشيخوخة وأكثرها حساسية هي التي سماها القرآن أزدل العمر" ومنهم من يرد إلى أزدل العمر" يعني كما قال ابن عباس: أزدأ العمر، حتى يصير كالطفل"، مشيراً إلى أن هذه الحالة من الضعف والوهن التي يصير إليها الإنسان اقتضت وأوجبت على الأمة أن توليها بالغ الأهمية، على مستوى الأسرة والمجتمع والنظام والحكومة.

ونوه إلى أن الحقوق تنقسم إلى قسمين رئيسيين: الأول هو الحقوق المادية، والثاني هو الحقوق الأدبية، وأما الحقوق المادية -وفق قوله- فهي توفير مطعم ومشرب ومسكن وملبس.

ونبه إلى أن أول من ينبغي أن يوفر له هذا أسرته وأولاده، فله حق عليهم، معللاً ذلك بأنه كما رباهم صغارا يجب أن يكفولوه وهو كبير، فهذا حق من حقوق الله (تعالى) على الأولاد، لذلك لم يجز الفقهاء أن يعطي الإنسان زكاته لأبيه وأمه؛ لأن نفقتهما واجبة عليه، فكانما يعطي نفسه؛ لأنها جزء منه.

وبيّن أنه إذا لم يكن الأولاد قادرين فعلى المجتمع أن يسد حاجتهم، وهذه هي فلسفة التكافل الاجتماعي في الإسلام (المسلم أخو المسلم)، لافتاً إلى أن المسلمين يحمل بعضهم بعضاً، فكانهم أسرة واحدة، لذلك جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري في الأدب المفرد: "مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شُبَعَانًا وَجَارَهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ".

حقوق معنوية

وبالانتقال إلى الحقوق الأدبية أشار فرحات إلى أن المسن يحتاج للحقوق المعنوية أكثر من حاجته للماديات، فلا يكفي أن يوضع الكبير في بيت



المسنين، فمن حقه أن يعيش مع أولاده، وأحفاده، ويسمع منه الأحفاد الحكايات وتجارب الحياة، ويؤنسهم ويؤنسوه.

وأضاف: "وقد وصّى القرآن الكريم بالوالدين بصفة عامة، وخص حالة بلوغ الكبر بالذكر في قوله (تعالى): (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)".

ونبه إلى أن القرآن هنا يعبر بقوله "عندك"، أي في بيتك، في دارك، لا في المصحف، قائلاً: "فالحق الأدبي على الإنسان أن يرضى أبويه، لا ربهما في المصحف، وإن كان لا بد من المصحف؛ لأنه قد يوجد من الناس من لا عائلة له، وقد يوجد ابن

فقير لا يستطيع أن يحتوي أباه في بيته". وتابع: "ومع هذا لا بد لهذا الأب أن يزور بيت أولاده ما بين الحين والآخر، ولا بد أن يزوروه، وهذا كله من باب الإحسان إلى الأبوبين، إذ جعل الإسلام الإحسان إليهما سبباً لمغفرة الذنوب".

ولفت النظر إلى أنه من واجب المجتمع أن يوقر الكبار، وأن يؤدي إليهم حقهم، والنبى (صلى الله عليه وسلم) يقول فيما أخرجه الإمام أحمد: "لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجَلِّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفَ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ". خاتماً بقوله: "الإسلام يتعامل مع قضية المسنين والكبار انطلاقاً من الواجب الشرعي، والقيم الأصيلة في هذا الدين، لا من باب التبرع، كما هو في الحضارة الغربية".

أمانة الأمة (3)

الصحابة رضي الله عنهم وعدالتهم أجمعين

د. أحمد إدريس عودة

أستاذ الحديث الشريف وعلومه المساعد

حجر، وغيرهم.

وينبغي العلم أنه لو لم يرد في حق الصحابة رضي الله عنهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، ونصرة الإسلام ببذل المهج، والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان، واليقين القطع بتعديلهم والاعتقاد بنزاهتهم، هذا مذهب كافة العلماء، ومن يعتمد قوله ولم يخالف فيه إلا شذوذ من المبتدعة الذين ضلوا وأضلوا، فلا يلتفت إليهم ولا يعول عليهم كما قال الإمام ابن عبد البر.

وبذلك يمكن القول وبكل اطمئنان: إن الصحابة رضي الله عنهم هم خير وأفضل خلق الله تعالى بعد الرسل والأنبياء عليهم السلام، وهم أفضل من كل من جاء بعدهم.

إن أفضلية الصحابة رضي الله عنهم على من سواهم تُعرف من وجهين، الأول: أنهم نالوا شرف الصحبة، والثاني: أنهم عدول.

فإن للصحابة بأسرهم خصيصة وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يُعْتَدُّ به في الإجماع من الأمة، أما نصوص الكتاب والسنة فهي كثيرة، منها: قوله تعالى: {لَوْ كُنَّا جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: 143]، وقول النبي عليه الصلاة والسلام: {خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةَ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ}.

وأما الإجماع فإن الأمة مجمعة على تعديل الصحابة، ونقل الإجماع غير واحد من الأئمة كابن عبد البر، والخطيب البغدادي، وابن الصلاح، والنووي، وابن

علماء من أجل الأقصى 4

الفقيه عيسى الهكاري

بقلم د. عبد الحميد الفرائي

أنجبت منطقة هكاري عدداً وافراً من العلماء والقادة البارزين، منهم: الفقيه عيسى الهكاري موضوع مقالنا اليوم.

هو أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى، ويقال له الهكاري، ويلقب ضياء الدين. ولا تذكر المصادر شيئاً عن تاريخ ولادة الفقيه عيسى، ولا شيء عن تفاصيل حياته وهو صبي، وتبدأ أخباره بالظهور وهو في عهد الشباب، بدأ حياته طالب علم، وتخصص في علم الفقه الإسلامي على وجه التحديد، ودرس هذا العلم في كل من جزيرة ابن عمر (جزيرة بوتان) القريبة من منطقة هكاري في كردستان، ثم انتقل إلى مدينة حلب، وكانت حينذاك من العواصم الثقافية الكبرى، واستكمل تعلم الفقه في المدرسة الزجاجية فيها، ويبدو أنه اتقن ذلك العلم، وأجيز فيه على عادة طلبة العلم في ذلك الزمان، وحاز على لقب (الفقيه).

وكان للفقيه عيسى بصماته الواضحة على تاريخ فلسطين، وعلى مستقبل الوجود الفرنجي فيها، فقد وقف إلى جانب صلاح الدين ليصبح وزيراً في مصر، وأضح موقفه ذلك عن أن الرجل لم يكن مجرد فقيه يجيد الغوص في بطون الكتب الدينية، والربط بين الفروع والأصول، وإنما كان أيضاً سياسياً محنكاً، يجيد قراءة الشخصيات والأفكار، ويعرف كيف يتعامل مع أصحاب الطموحات، ويعلم بدقة مراكز القوى في الجيش النوري، ويمتلك مهارة المناورات السياسية الدقيقة.

لقد كان يرى في صلاح الدين من المزايا القيادية ما لم يكن يجدها في الآخرين: أبرزها الحيوية، والشجاعة، والخلق الرفيع، والجمع بين استعمال اللين والحزم بحسب المواقف.

ويصبح بذلك الفقيه عيسى الهكاري (مهندس قيام الدولة الأيوبية)، التي قض سلطنتها صلاح الدين الأيوبي على الوجود الصليبي في القدس، فلولا مناوراته السياسية الذكية لما تمكن صلاح الدين من البقاء في منصب الوزارة، ولولا بقاءه في منصب الوزارة لما استطاع ترسيخ نفوذه في مصر، ليصبح سلطاناً معترفاً به من قبل الخليفة العباسي في بغداد، وصار أقوى حاكم في غربي آسيا، وقاد شعوب المنطقة لمواجهة حملات الفرنج، وإذا أخذنا كل هذه الوقائع في الحسبان أدركنا أهمية المناورات السياسية التي قام بها الفقيه عيسى لتمكين صلاح الدين من موقع الوزارة.

ولم تتوقف جهود الفقيه عيسى عند هذا الحد، وإنما كان إلى جانب صلاح الدين في معظم الأحداث السياسية والحربية الهامة، فقد أرسله صلاح الدين رسولاً إلى نور الدين، ليقوم بطمأنينة الأخير وتبديد مخاوفه من أن يكون صلاح الدين منافساً له أو خارجاً عن طاعته، وأفلح الفقيه عيسى في تلك المهمة.

لم يكن الفقيه عيسى رجل العلم والسياسة فقط، وإنما كان مقاتلاً في ساحات الحرب أيضاً، "وكان يلبس زي الأجناد، ويعتم بعمامم الفقهاء، فيجمع بين اللباسين".

وذكر ابن الأثير في أحداث سنة (573هـ)، أن جيش صلاح الدين هاجم مناطق فلسطين الواقعة في أيدي الفرنج في معركة الرملة، "وكان أشد الناس قتالاً ذلك اليوم الفقيه عيسى". وفي تلك المعركة لحقت الهزيمة بجيش صلاح الدين، ووقع الفقيه عيسى في أسر الفرنج مع أخيه ظهير الدين، فافتداه صلاح الدين بستين ألف دينار. وظل الفقيه عيسى ينشط بفعالية وبإخلاص لترسيخ أركان الدولة الأيوبية، ويقف إلى جانب صلاح الدين في السراء والضراء، إلى أن توفي سنة (585هـ/ 1189 م)، بالمخيم بمنزلة الخروبة [قرب عكا]، ثم نقل إلى القدس ودفن بظاهرها، رحمه الله تعالى، "وقد" وتقدم عند صلاح الدين تقدماً عظيماً". "وكان صلاح الدين يعميل إليه ويستشيره، وكان الله قد أقامه لقضاء حوائج الناس والتفريج عن المكروبين مع السورع والعفة والدين، رحمه الله". فلما تولى صلاح الدين رأى له ذلك واعتمد عليه، ولم يكن يخرج عن رأيه، وكان كثير الإدلال عليه، يخاطبه بما لا يقدر عليه غيره من الكلام، وكان واسطة خير للناس نفع بجاهه خلقاً كثيراً".

وجملة القول أنه لولا أن سخر الله عز وجل الفقيه عيسى لما عرفنا صلاح الدين، ذلك القائد المجاهد، الذي حرر القدس وطرد منها الصليبيين، فالأمة اليوم تحتاج أمثال الفقيه عيسى ليصنعوا لنا قائداً مثل صلاح الدين.

لماذا تسمع نباح الكلاب ولا تنصت لغناء الحمام؟ لماذا تشاهد من الليل سواده ولا تشاهد حسن القمر والنجوم؟ لماذا تشكو لسع النحل وتنسى حلاوة العسل؟

وصية اليوم

عن عبد الله بن عمر، قال: «بَلَّغْنَاكَ طَاهِرًا مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ»

حديث شريف